كلمة الأستاذ

محمود محمد شاكر

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للأدب العربي عام 1404هـ / 1984م

السبت 1404/5/24هـ الموافق 1984/2/25م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السماوات والأرض، المسبغ نعمه على خلقه ظاهرة وباطنة، لا تحيط بشكرها ألسنة الشاكرين والذاكرين والمسبحين. والحمد لله الذي اصطفى من عباده النبي الأمي رسولا إلى العالمين، وأوحى إليه هذا القرآن بلسان عربي مبين يكون ذكرًا له ولقومه دهر الداهرين. الحمد لله وحده لا شريك له، وصلى الله على رسوله وسلم تسليمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه وصلى الله على أبويه الرسولين الكريمين إبراهيم وإسماعيل وعلى المبلغين رسالات ربهم من الأنبياء والمرسلين.

لست أدري كيف أستطيع أن أحمل هذا اللسان العاجز عبئًا لم يتحمل مثله قط، إذ أقف أول مرة في حياتي بين مثل هذا الحفل المحفوف بهيبة الملك، وجلال العلم، وأبهة الفضل، ثم أطالبه أن يبين عما يجيش في صدري من معان. وأنا في خلال ذلك نهب مقسم لخوالج متناقضة تكبحني رهبة تورث الخوف والتوجس والإشفاق، وتستحثني نشوة تثير الشجاعة والجرأة والإقدام. وأي إقدام أغرب من إقدامي على المثول بينكم! وأي جرأة أعجب من جسارتي على مخاطبتكم! وأي شجاعة أعظم من اقتحامي إليكم سدود الرهبة والتوجس والخوف والإشفاق، حتى وقفت مثل هذا الموقف باسطًا لساني بالشكر، مجاهرًا بما يوجبه علي عرفان الجميل وحسن الصنيع.

ومع ما يخامر نفسي من الرهبة، وقلبي من الخوف، ولساني من العجز، تجتاحني سعادة غامرة ونشوة بهيجة، بأن أتاح الله لي فرصة عزيزة نادرة، اهتبلها خلسة من دهر شحيح ضنين، لكي أعتبر بلسان طليق عن فرحة قديمة لم تزل مكتومة في سر قلبي، منذ سمعت بخبر إنشاء "جائزة الملك فيصل العالمية" في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة بعد الألف، وقد أوشك القرن الرابع عشر للهجرة أن ينصرم، فيومئذ تمثلت لي الأيام المقبلة من القرن الخامس عشر الذي نحن اليوم في درج مطالعه. رأيت يومئذ فيما رأيت عالمًا عربياً إسلامياً قد انتفض، وهب يمسح عن وجهه غفوة طويلة، وأفاق من سنة كانت قد أخذته وربضت به. ثم رأيت عالمًا يموج بالشوامخ من علمائه وأدبائه وشعرائه ومفكريه وكل الساكنين على اختلاف ألسنتهم وألوانهم،

فإذا أظلهم ميعاد "جائزة فيصل العالمية"، لم يبق على الأرض منهم شاب يانع، ولا فتى ناضج، ولا كهل سوي، ولا كبير متقادم الميلاد، ولا شيخ فن برى الدهر عظامه، إلا وذكر هذه الجائزة جار على لسانه مع التسبيح، ماثل لعينيه كعمود الفجر، مقرونًا بصورة فيصل الذي استطاع في العاشر من رمضان أن ينزع القناع عن عالم آخر كان يأخذ منا "القوة" ليزداد بها قوة على قوته، واستعلاء على استعلائه، وغطرسة على غطرسته، ويعطينا لقاء ذلك ما نتحاسد عليه، وما يبدد البقية من قوتنا، ويجعل بعضنا يبغي على بعض. فلما سقط القناع يومئذ تجلت كلمح البرق فضيحة ذاك العالم، وتعرت حقيقته وبان لكل ذي عينين أنه كان يخدعنا بنفاقه ليسترق منا القوة التي هي ملك لنا، وحق لا ينازعنا فيه منازع، ثم يزيف لنا بغطرسته كل حقيقة، ويبهر أعيننا بدهائه ومحاله ومخاتلته، لكي نعمى عن بشاعة مكره بنا، وقبح استعلائه علينا.

ورأيت، أيضاً، فيما رأيت، أهل القرن الخامس عشر، إذا ذكروا القرن الرابع عشر، يعدون فيصلًا رجل هذه الأمة وسهمها حين طاشت السهام، وركنًا من أركانها الشداد وقت وهت الأركان، فإذا ذكروا الجائزة المقرونة باسمه أثارت في كل نفس وقلب ما تراه عيانًا في الوجوه وفي الأعين من بشاشة الانتماء الحميم إلى عالم عربي إسلامي متراحب فوار، لا إلى عالم آخر لا يجمعنا وإياه انتماء ولا شيجة، وسمعتهم يومئذ يقولون: ذاك عالمهم هم لا عالمنا نحن. من اجل ما رأيته يومئذ من عالم، وما أروعها من حياة وإذا أراد الله شيئًا فكل بعيد قريب.

أما الآن، ونحن أول معارج القرن الخامس عشر فإنه ليحزنني ويكدر علي سعادتي ونشوتي، أن لم يقدر لي أن أجد لما تمثلته في خاطري تحقيقاً يشفي غلتي، وما هي إلا حسوة خاطفة كحسو الطائر، بيد أني أؤمن بأن ما هو كائن سيكون، بإذن الله وتوفيقه ونصرته لعباده الصادقين إذا صدقوا ما عاهدوا الله عليه بألسنتهم وقلوبهم، ثم لم تفرقهم الأهواء والفتن، وإلا فهو الخذلان الكبير، نعوذ باله رب العالمين من خذلانه، ونستدفع به وبرحمته كل بلاء.

هذه رؤية رأيتها يومئذ لعالم مستكن وراء حجب الغيب، أوجزتها لكم في كلمات. ولم يبق عندي شيء يمكن أن أقوله لكم، سوى أني أجد حابساً يحبسني عن مفارقة هذا المقام الكريم بينكم. وحابسي في مكاني قصة محيرة لا أملك إلا أن أقصها عليكم. وذلك لأني تلقيت من الأمانة العامة للجائزة تهنئتي بحيازتي إياها هذا العام، عن كتابي المتنبي والذي نشرته سنة 1976م، ولا كتاب لي عن المتنبي سواه. فلما كان بعد حين، وقرأت نص قرار الأمانة العامة، أذهلني العجب، فقد تبين لي كل التبين أن الجائزة ممنوحة لكاتب آخر غيري، كان من تصاريف الأقدار أن اسمه يواطئ اسمي، واسم كتابه يواطئ اسم كتابي، وقد نشر كتابه هذا في سنة 1936م، أي منذ ثمان وأربعين سنة. ومبلغ علمي أن هذا الكاتب القديم قد غاب هو وكتابه معًا منذ سنة 1937م غيبة منقطعة مستمرة إلى يوم الناس هذا. فإذا كان قرار الأمانة يشهد لسميي الغائب بأنه مستحق الجائزة فإن تهنئتها لي بالجائزة ودعوتها إياي إلى الرياض، ووقوفي الآن بين أيديكم، تشهد لي جميعاً أكبر شهادة بأني مستحق لها، ولكن أخوف ما أخافه، أن يؤوب الكاتب القديم من غيبته، ويخرج على

الأمانة العامة من سردابه متأبطا كتابه، يطالبها بحقه في الجائزة. وهذا أمر مخوف على كل حال، أما أنا فهي

هات أن يطالبني أحد بشيء استحققته بما كان من تهنئتي ودعوتي لتسلم جائزة هذا العام علانية. وأكبر من ذلك، فمعي قرار يلغي كل قرار، هو تقديمي كتابي المتنبي إلى جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، فتقبله متفضلًا بأكبر الفضل علي وعلى كتابي الذي لا كتاب لي عن المتنبي سواه. وهذا حسبي وحسب كتابي من شرف باذخ.

لم يبق للساني شيء يبوح به ويجاهر، سوى الشكر، ومن شكر فقد أدى حق النعمة، وأدى حق المنعم، ولم يشكر الله من لا يشكر الناس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته